الطريقة القادرية بالجريد التونسي من النشأة إلى الاضمحلال(1843– 1954)

الدكتورة/ سكينة عصامي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس– تونس
مخبر الدراسات والبحوث المتداخلة والمقارنة LERIC

Abstract :

In view of the rapprochement with Algeria and "Seguia el Hamra", the Tunisian Jerid has been regarded since the Middle Ages as the "crossroads of the doctrines of which Nefta is the little Kuffa. Such as confraternity was planted in the region of which the most important is the confraternity Kadria which had a very important religious, social and even political role during a long period before the French colonization causes its dissolution.

مقدمة:

تعتبر الصوفية من أبرز وأهم الحركات الدّينية التي عرفها التاريخ الإسلامي مثل الكثير من الحركات الأخرى، والصوفية قوامها: "فلسفة روحية ترتكز على الذكر والاعتكاف وفق أساليب تربوية مرهقة للنفس لحملها على الطاعة حتى تزكو وترتقي إلى مراتب عليا من الإيمان"[1]. وقد أثار تحديد الفترة الزمنية والتاريخية التي نشأت خلالها الصوفية الاختلافات بين الباحثين. ففي المغرب العربي مرّ التصوّف بمرحلتين انتقل خلالهما من التصوّف النخبوي إلى التصوّف الشعبي الطرقي[2]، هذا التصوّف الذي لقي صدى كبيرا خاصة في تونس التي: "ترتبط

بغيرها من الأقاليم ارتباطا عضويا يلحقها فيه ما يلحق غيرها من تطورات، ويهب عليها ما يهب على بعض الأقاليم من تيارات، يساعدها على ذلك ويهيئها له توسط موضعها من الأقاليم الإسلامية فكانت ممرا لمختلف التيارات الدينية والمذهبية... فما ظهر على ساحة الوجود تيار...في المشرق أو في المغرب أو بالأندلس إلا وكان له صداه وتأثيره في تونس"[3].

هذا وقد كانت تونس معبرا للقادمين من الشرق والحجيج والتجار والطلبة سواء من داخل البلاد وحتى من المغرب والجزائر والأندلس مما أهلها لأن تواكب الحركات الدينية. لذلك عرفت الحركة الصوفية مبكرا، فبرز العديد من الرجال ممن عرفوا بالزهد مثل الخالق القتات الذي عاش في القيروان في القرن الثامن للهجرة زمن الدولة الأغلبية[4]، كما ظهر بجهة نابل قوم متعبدون تخلوا عن الدنيا وسكنوا جبل آذار مع الوحوش، لباسهم البردي، وعيشهم من نبات الأرض، ومن صيد البحر والدعوة من أكبرهم مستجابة[5].

ما لبث أن أصبح التصوّف مذهبا قائما على أركان تستند إلى القرآن والحديث وتسمى "علم الباطن" حيث كان معروفا بهذا الاسم في القيروان زمن الإمام سحنون (توفي 858)، الذي تولى القضاء بإفريقية (847–854) واستعان بالصوفية لرد مظالم بني الأغلب. لم تلق الصوفية معارضة في تونس، فقد مكنتها السلطات الحاكمة خاصة الموحدية والحفصية من ممارسة نشاطها، هذا وقد شهد التصوّف فيها انتشارا سريعا منذ القرن الحادي عشر ميلادي حيث ظهر خاصة أبو الحسن الشاذلي وتكاثرت الطرق الصوفية خاصة وأن الدولة الحفصية قد شجـــّعت على انتشارها نظرا لما قامت به من تحفيظ للقرآن والحثّ على القيام بالواجبات الدينية. واستمر هذا الاهتمام والدّعم السياسي إلى الزمن العثماني حيث كثرت

الزوايا وحبّست العقارات وتواصل ذلك مع الحسينيين "الذين اعترفوا بالطرق الصوفية قانونيا وتم وضعها إداريا تحت إشراف رئيس عام يسمى شيخ المشايخ"[6].

لقد كان حمودة باشا حامي الطريقة القادرية وأوّل المساهمين في بناء زاوية لها، ومنذ عهد أحمد باي أصبحت العائلة الملكية تتوارث انتمائها للطريقة التيجانية أعرق وأهم الطرق في تونس وأحدثها فهي تعود إلى بداية القرن التاسع عشر[7]. وبهذا الاهتمام تكاثرت الطرق الصوفية وأصبحت لها زوايا في كامل البلاد، وانتشر بين الناس أن "من لا طريقة له فطريقته شيطانية"[8]. كما ذكر قانياج Ganiage "أن المسلمين كلهم بدوا وحضرا ينتمون إلى طريقة وأحيانا إلى عدة طرق في نفس الوقت"[9].

لم تخرج منطقة الجريد[10] عن هذا الانتشار الطرقي ليس فقط باعتبارها جزء من البلاد التونسية بل لأن للمنطقة منذ قرون إشعاع ديني كبير فقد كانت "ملتقى المذاهب"، وفي حقيقة الأمر فقد ساهمت عدّة عوامل في هذا الانتشار الطرقي من أهمها كثرة الزوايا وأضرحة الأولياء خاصة في نفطة التي سميت لكثرة قبابها "الكوفة الصغرى"[11]. هذا إضافة إلى كثرة علماء الفقه والمؤدبين وحفظة القرآن، تنضاف إلى ذلك عوامل أخرى وهي خاصة الصعوبات والمشاكل والظروف المعيشية القاسية والأزمات التي عرفها القرن التاسع عشر ومنها خضوع البلاد للاستعمار الفرنسي، كل ذلك دفع بالأهالي إلى الهروب من هذا الواقع المرير والالتجاء إلى حلقات الزهد والتصوف لنسيان هذه الأهوال، كما يمكن القول أن انتشار الأمية داخل المجتمع مثل عائقا أمام فهم القرآن والسنة هذا بالإضافة إلى قلة العلماء، لذلك كانت تلك الطرق تلعب دور البديل عن ذلك كما ساد الاعتقاد بأن هؤلاء الصلحاء ينحدرون من نسب الرسول.

لذلك شكل الأولياء الصالحين "أداة الوصل بين القبائل وبين النسق الديني السائد ويضمنون اندماجها داخل المجتمع الإسلامي"[12]، وإلى حدود القرن العشرين بقيت نفطة أهم المراكز الدينية والصوفية والطرقية خاصة الطريقة الرحمانية والطريقة القادرية والطريقة التيجانية إضافة طريقة سيدي بوعلي التي زالت إلى اليوم تحافظ على دخلتها السنوية. من جهة أخرى، فقد أظهر سكان الجريد اعتقادا كبيرا في الأولياء وكانوا يستعينون بهم في أوقات المحن وذلك بالإكثار من زيارة الزوايا إلى حد العكوف فيها طويلا أحيانا. كما كان الأهالي يدعون الانتساب إلى الأولياء فكان لكل عرش أو عائلة ولي خاص بها يقولون أنه الجد المؤسس تماما كما كان لكي حي جوامعه وزواياه.

ينقسم أولياء الجريد إلى قسمين القسم الأوّل يتضمن الوافدين على المنطقة من أصيلي الساقية الحمراء وهم من المؤسسين وقد عرفت الساقية الحمراء بأنها مركز مرابطي و"مغرس الأولياء"، والقسم الثاني يتضمن الخلفاء وهم من أصيلي المجتمع المحلي والاختلاف والانفصال بينهما منطقي لأنّ قداسة المؤسسين لا تظهر بالمثل عند الخلفاء[13].

لقد اعتبرت الطريقة القادرية من أهم الطرق التي وجدت في منطقة الجريد مثل الطريقة الرحمانية والطريقة التيجانية... وقد عرفت قواعد الطريقة القادرية انتشارا كبيرا لدى الأتباع علاوة على ما حظي به شيوخها من هيبة وسلطة، وبذلك تمكنت من الانصهار سريعا داخل المجتمع الواحي وخارجيا في مناطق أخرى. ونظرا لما اصبحت تمتاز به من اشعاع أبدت السلطات الاستعمارية مخاوفها من ذلك وعملت على تضييق الخناق على هذه الطريقة اضافة إلى تظافر عدة عوامل داخلية أدت إلى اضمحلالها.

I- الطريقة القادرية أو الطريقة المهيمنة :

1- نشأتها

هي إحدى الطرق الصوفية السّنية التي تنتسب إلى مؤسسها أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى الحساني ولد في جبل جيلان قرب بغداد سنة 1078- 1079 وتوفي في هذه المدينة وهو من أصل شريفي لكن من عائلة فقيرة[14]، جلس للوعظ سنة 520 هـــ وحصل له القبول عند الناس واعتقدوا ديانته وصلاحه وانتفعوا بكلامه ووعظه. اشتهر عن الشيخ عبد القادر ما يدل على فقهه وثبات قدمه في العلم كما ظهرت على يده العديد من الكرامات وتاب وأسلم على يده العديد من الناس وتوفي سنة 561 هـــ وعمره 90 عاما[15].

وتتمثل قواعد الطريقة القادرية في :

- الالتزام بالكتاب والسنة وهنا يقول الشيخ عبد القادر: "طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة فمن خالفها فليس منا"[16].

- الجد والكد ولزوم الجد حتى تنتقده.

- الاجتماع والاستماع والإتباع حتى يحصل الانتفاع.

- الاعتقاد بشيخ الطريقة في هذا السياق يقول الشيخ الجيلاني:

"يا بني إياك أن تنظر إلى شيخك أنه معصوم إنما هو بشر يخطئ ويصيب فإن رأيت مخالفة فابحث له عن عذر شرعي فإن لم تجد له عذر فاستغفر الله فإنه بشر يخطئ ويصيب"[17].

- حب الشيخ.

- كثرة الذكر لله تعالى.

- محبة آل البيت وحبهم مقدّم على كل من سواهم من الناس.

– حب كل الأولياء والصالحين وحب مشايخ ومرشدي الطرق الأخرى لا يفرقون ولا يميزون بين طريقة وأخرى ولا يتعصبون لطريقتهم[18].

دخلت الطريقة القادرية البلاد التونسية مبكرا وانتقلت من مركزها الأصلي في بغداد إلى تونس العاصمة ونفطة وهي تعتبر من أهم الطرق وأقدمها[19]، ويذكر أن أبا مدين شعيب بعد أن أخذها عن مؤسسها مرّ عند رجوعه بتونس فالتقى ببعض المشايخ ومن ثمة تمتـــّنت العلاقة بينهم وصاروا يزورونه في بجاية لكن هذه الطريقة ظلت بدون زاوية إلى إن أنشأت لها واحدة بمترل بوزلفة سنة 1832 من قبل حمودة باشا الذي اعتبر من أول الأتباع[20]. وسريعا انتشرت الطريقة القادرية في كامل مناطق البلاد بما ذلك منطقة الجريد التي أصبحت مركزا هاما لها، ومنها تفرعّت إلى الجنوب الشرقي

التونسي في قابس، جربة، مطماطة، مدنين، تطاوين، ووصلت إلى طرابلس، كما انتشرت في الجنوب الشرقي الجزائري والتوارق[21].

2– حضورها بالجريد

بلغ عدد زوايا الطريقة القادرية بتوزر3[22] أي بنسبة 2,75% والعدد الجملي للأتباع 1593 من المجموع العام، وقد وجدت الزاوية الرئيسية لهذه الطريقة في نفطة ولها زوايا فرعية في تمغزة، دقاش، الحامة زاوية العرب[23]كما تعتبر الطريقة القادرية بالجريد وليدة الطريقة القادرية بمترل بوزلفة ثم انفصلت عنها وأصبح لها نفوذا كبيرا في الجنوب التونسي والجزائري[24]. وقد اشتهرت الزاوية القادرية بتوزر بعدد الطلاب الذين يسكنون داخلها وهو عدد كبير وهام مقارنة بزوايا الطرق الأخرى في المنطقة خاصة الطريقة التيجانية مما ساهم في خلق نوع من المنافسة والمواجهة بين الطريقتين ونشوء نزعة عداء وتصادم[25]. توزّع عائدات الزاوية في شكل

صدقات، أما الأتباع والموالين للشيخ سيدي المولدي فهم كثر رغم أن نفوذ الزاوية كان محدودا مقارنة بزوايا الطرق الأخرى في المنطقة خاصة الطريقة التيجانية مما ساهم في خلق نوع من المنافسة والمواجهة بين الطريقتين ونشوء نزعة عداء وتصادم[26]. توزّع عائدات الزاوية في شكل صدقات، أما الأتباع والموالين للشيخ سيدي المولدي فهم كثر رغم أن نفوذ الطريقة لم يتجاوز مجال الهمامة في تونس والنمامشة في الجزائر كما وجد لها أتباع لدى الفراشيش والسرس[27].

تأسست الزاوية القادرية بنفطة[28]سنة 1843 على يد إبراهيم بن أحمد الكبير أحد مريدي سيدي بوبكر وخلفه بعد ذلك ابنه البكر محمد، وقد اعتبرت زاوية نفطة أهم زوايا الجريد. كما حبّست عليها "أوقافا من النخيل للقيام بشؤونها
ومصالحها والنفاق على طلبتها الذين يسكنونها من الجهات البعيدة والقريبة لتعلّم القرآن العظيم والعلم الشريف"[29]، إذ يؤم الزاوية حوالي 100 طالب ويتردّد عليها أكثر من 700 من الأتباع كلهم من الأشراف[30] لذلك اعتبرت الطريقة الجامعة لأكبر عدد من الأتباع والإخوان كما تميز شيوخها بنفوذهم القوي ويمكن اعتبارهم الأشخاص الأكثر أهمية والأكثر قوة[31].

لقد كان للطريقة نفوذا واسعا داخل البلاد وخارجها وأصبحت الزاوية الأم بالوسط والجنوب التونسي والجنوب الجزائري في سوف والنمامشة، في تبسة وصولا إلى غدامس وعين صالح[32]بل يمكن القول أن لها علاقات من طرابلس من الحدود الشمالية إلى الطوارق: "فاشتهرت هاته الزاوية بين الزوايا بالفضل والرعاية والاحترام من الخاص والعام وحصل

على سمعة بين أهالي المملكة التونسية والعمالة الجزائرية ولما توفي مؤسسها...خلفه ابنه الأكبر الشيخ محمد الكبير بن إبراهيم الشريف في القيام بشؤون الزاوية والعمل بمصالحها بما أرضى الخالق والمخلوق إلى أن صارت كعبة الزوار و مقصد المتقين الأخيار"[33].

لم يختلف التنظيم الداخلي للطريقة القادرية عن التنظيم المعروف ففي أعلى الهرم يحظى الشيخ بسلطة كبيرة فهو الشيخ الروحي وهو الرجل الذي له القدرة كاملة وكل العلم مسخّر من الله رؤوف، رحيم، صاحب البركة، له معرفة مطلقة بالشريعة وهو الذي وصل إلى درجة الكمال في معرفة مواطن العجز والأمراض التي تصيب الأرواح... هو المؤسس الأول للتعليم الخصوصي للطريقة وهو الوحيد الذي يملك أسرار الأسماء المقدسة التي كرمه بها الله (والي، صوفي غوث...)[34] ، تحت الشيخ نجد الخليفة أو النايب وهو ممثل الشيخ في المناطق البعيدة ثم نجد المقدم.

لا يكون دخول الفقير إلى الطريقة القادرية إلا عن طريق جملة من الطقوس والممارسات وتتمثل في البيعة والمعاهدة والمصافحة والتلقين ولبس الخرقة وهي شعائر تمثل بداية الدخول إلى الطريقة، كما أن البعض منها شفوي كالتلقين ويدوي كالمعاهدة والمصافحة "وتنتمي هذه الطقوس والمعاهدات إلى المعجم الاصطلاحي الصوفي والمخزون الطرقي عامة ولها أبعاد الرمزية التاريخية"[35]، كما تحيل هذه الممارسات على مستوى الكاريزما والقدرات الخارقة[36]. بعد تأسيس الطريقة القادرية قام مشايخها في مرحلة أخرى بترتيب الميعاد داخل الزاوية ووضع أحزاب من تأليفهم في هذا الإطار يتمثل ميعاد الطريقة القادرية في قراءة بعض "التوجهات" إثر فراغهم من الإنشاد يقرؤون دعاء المجلس وهو: "الحمد لله رب العالمين"... ويذكرون الحمد له ثلاثا ويسكتون شيئا عقب كل حمد له، ثم يأتون على جميعه بالقراءة

ويقلدون الشيخ عبد القادر في رفع إصبعه تلقاء وجهه عند ذكر: "لا إله إلا الله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله"[37]ثم ينشدون توجه كلمة الشهادة.

على إثر ذلك يشرع القرّاء في ذكر كلمة التوحيد مائة وستة وستين مرة[38] على إثرها ينشدون توجها لحزب من الأحزاب ثم يقرؤون ما أرادوا من الأحزاب والأوراد ويقفون للذكر لختم المجلس بتكرار كلمة الشهادة لينتقلوا منها إلى ذكر اسم الله منفردا أي الهيللة ثم يضيفون إليه "دائم حي" ويستمرون على تكرارها[39].

يتضمن الإنشاد الصوفي الخاص بالطريقة القادرية مجموعة من الأدعية والأذكار والمدائح النبوية وقصائد تتغنى بمناقب الولي عبد القادر الجيلاني يتوسل من خلالها الفقير بالولي لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة والإغاثة والكفاية والعسر...ويعرف "بالسفينة"[40]. أما الأحزاب فتشتمل على أدعية متكرّرة خاصة بكل حزب وهي متفاوتة الطول وما يميـــّز بينها وبين الأذكار، أن الأذكار تتضمن صيغ التوحيد والهيللة ولا تتخللها إلا نادرا خلافا للأحزاب (آيات قرآنية)[41] ، وفي مجملها تتضمن الأدعية مجموعة من الأماني والآمال طمعا في استجابة الولي عبد القادر الجيلاني في تحقيقها ويكمن الهدف الرئيسي من ترديدها في إشباع حاجات المريد النفسية على أمل تحقيق رغباته الدنيوية. وفيما تعلق بالأوراد فهي تتمثل في تكرار كلمة التوحيد ثلاثمائة مرة ويضيفون إليه الاستغفار في الصيغة التالية: "أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه"[42].

تماما مثل الطرق الأخرى بالجريد، فقد كان للزاوية والطريقة القادرية ممتلكات هامة بل أنها استحوذت على أكبر نصيب من أملاك النخيل هذا إضافة إلى الموارد والعائدات المتأتية من مداخيل أخرى ذكرناها سابقا لبقية الطرق وهي:

- أموال الزيارات.
- أموال الإعفاء من الضرائب.
- عائدات ملكية الدواب والمواشي.
- مداخيل النشاط التجاري.

وقد كانت أملاك الزاوية القادرية موزعة على أكثر من خمسة عشر سانية بها أكثر من سبعة آلاف نخلة[43].

II- علاقة الطريقة القادرية بالحكومة الفرنسية

لقد كان لمنطقة الجريد علاقات هامة ووطيدة مع الجزائر خاصة الجنوب ومنطقة سوف حيث وجد العديد من أتباع الطريقة القادرية كما مثلت منطقة الجريد وخاصة الزاوية القادرية منطلقا لنضال الثوار الجزائريين، فمنذ 1830 برز الشيخ إبراهيم الكبير من المعارضين للاستعمار الفرنسي للجزائر وكان يستغل "كل فرصة ليظهر علانية مشاعر الاختلاف التي يكنها للسلطات الفرنسية"[44]. لذلك لم تبخل الزاوية القادرية سنوات 1870-1871 على تقديم المساعدة للوطنيين الجزائريين بإعانات مادية وبشرية هامة تمثلت أساسا في جمع الأموال والسلاح[45]. وتحوّلت الزاوية إلى مقر تجمع المجاهدين التونسيين والجزائريين فأقام بها محي الدين عبد القادر الجزائري والناصر بن شهوة سنة 1870 حيث أحسن استقبالهم الشيخ إبراهيم بن أحمد وحرض سكان الجريد وقبائل النمامشة على الالتحاق بصفوف المقاومين، وبعد فشل انتفاضة 1871 عاد محي الدين عبد القادر الجزائري من جديد إلى نفطة وأقام بالزاوية القادرية وسهل له أصحابها مغادرة البلاد التونسية والالتحاق بالشام[46].

إثر الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية أثارت تنقلات شيوخ الطريقة القادرية بين تونس والجزائر قلق ومخاوف السلطات الفرنسية في البلدين، في حين لم تبد الحكومة التونسية رأيها ماعدا أنها قبل ذلك كانت السلطات الحسينية متخوفة من دخول الجزائريين إلى التراب التونسي وتأمر عمّالها بمراقبة هذه التحركات ومنع قبائل طرود والنمامشة من اللّجوء إلى واحات الجريد لأن الجيوش الفرنسية تلاحق اللاجئين إلى داخل البلاد التونسية. لكنها بعد ذلك تركت السلطات التونسية هذا الأمر إلى السلطات الفرنسية التي رغم ميل الشيخ محمد الكبير لها وحصوله بينه وبين "رجال فرنسا رابطة قوية ولحمة صادقة مرضية حتى صار رجال فرنسا يأتون لزيارتها (أي الزاوية القادرية)"[47] ، لم تتورّع عن مراقبة التنقلات خشية تحالف المناطق الجنوبية التونسية والجزائرية.

في هذا الإطار رفض الحاكم العام للجزائر في 18 ماي 1885 المطلب الذي قدّمه الشيخ محمد بن إبراهيم لتمكين أخيه العربي من السفر إلى جنوب قسنطينة لجمع الخرفان الذين وضعهم لمدة طويلة[48]، وقد رأى الحاكم العام للجزائر أن عدّة أضرار يمكن أن تحدث من جراء هذا السفر بل ذهب إلى أنه ذريعة اتخذها شيخ الزاوية وأن هدفه الأساسي جمع الزيارات من القبائل الجزائرية والأتباع وهو ما من شأنه أن يزيد في عدد المعارضين لفرنسا كما أنها تخشى ثورة القبائل الصحراوية التي أظهرت دائما شدة صمودها وبطشها في مقاومة المستعمر، وكانت تقلق الجيوش الفرنسية بمناوراتها المفاجأة وما يمكن أن تقوم به أكبر لو حصل تحالف جريدي – جزائري. من جهة أخرى فقد كانت السلطات الاستعمارية تدرك أن الزيارات التي يعمل شيوخ الزوايا والطرق على جمعها تعدّ من أبرز العوامل التي انبنت عليها قوة الطرق الصوفية الروحية والمادية، لذلك تعمل جاهدة على منعها كخطوة أولى للحد من نفوذ هذه

الطرق لذلك وأمام شدة المخاوف الفرنسية مما قد يحصل، قدم الحاكم العام للجزائر إلى الحكومة التونسية رفضه لطلب شيخ الزاوية القادرية الترخيص لأخيه السفر إلى الجزائر[49].

تواصل رفض الحاكم العام بالجزائر لزيارات شيخ القادرية إلى الجزائر أمام تكرّر وتعدّد هذه الزيارات فيفي 12 نوفمبر 1888[50] لم يقبل الترخيص الذي أعطاه المراقب المدني بتوزر إلى الشيخ محمد بن إبراهيم وأخوه الكيلاني مرفقين بستة من الخدم وذلك للسفر إلى الجزائر. وعلّل الحاكم العام رفضه بما يمكن أن يحدثه تواجدهما بالجزائر من مشاكل، كما لم يقبل في 12 ماي 1886 مطلب محمد الكبير للسفر إلى بوسعادة بمقاطعة الجزائر إلا في صورة قدومه عن طريق البحر[51] خاصة إذا كان الهدف من هذه الزيارات المتتالية والمتكررّة جمع الزيارات لدفع الضرائب واستغلال التعصب الديني للإخلال بأمن الجزائر وقد أكّد الحاكم العام للجزائر هذا القول بأن سلطات مقاطعة قسنطينة كانوا دائما على علم بالمشاكل التي يتسبـــّب فيها شيوخ الطرق الصوفية التونسية الذين يأتون دائما إلى الجزائر[52]. يمكن القول إذن أن مخاوف السلطات الفرنسية مما قد تتسبب فيه زيارات الشيوخ من مشاكل بدأت تتأكد تماما لما تأكد سفر هؤلاء لجمع الزيارات لذلك سوف تعمل على منع سفر شيوخ الطريقة القادرية إلى الجزائر وخاصة تجنب التقائهم بالأتباع أو الأهالي فيحصل ما لا تتوقعه السلطات وتخشاه.

في نفس الإطار قوبل مطلب الشيخ محمد بن إبراهيم الشريف للسفر إلى سوف وورقلة لزيارة والديه[53] بالقبول مع شيء من الاحتراز إن امتنع عن جمع الزيارات ويقوم فعلا بالهدف الأساسي من السفر ويتبع طريقه مباشرة من توزر إلى واد سوف ومنه إلى ورقلة حيث لا يمكن له السفر إلى مناطق أخرى غير المذكورة، لأن الأبحاث التي قامت بها السلطات الفرنسية أكدت عدم وجود مصالح ولا قرابات للشيخ المذكور في مناطق أخرى من التراب

الجزائري ليكون بذلك هدف سفره الأساسي زيادة انتشار نفوذ الطريقة وطلب الزيارات[54]. و لم تتوقف الأمور عند هذا الحد نظرا للزيارات المذكورة التي ما فتئ يقوم بها شيخ الطريقة القادرية إلى الجزائر، ففي سنة 1893 عثرت السلطات الفرنسية على رسالة تؤكد أن الشيخ محمد بن إبراهيم ينوي السفر إلى الجزائر للقاء محمد الطيب القاطن بالكويسات في ورقلة وذهبت السلطات إلى أن هذه الزيارة ترمي إلى إثارة الاضطرابات.

بعد ذلك وإلى حدود بداية القرن العشرين بقيت تنقلات شيخ الزاوية القادرية محمد الكبير وعائلته تخضع للمراقبة، فعندما طلب هذا الأخير سنة 1908 الترخيص لابنه إبراهيم السفر إلى عين بايدة لزيارة خاله عمار التونسي[55] رفض حاكم قسنطينة مطلبه لأن زيارته تهدف إلى جمع الزيارات، كما أقر عمار التونسي بأن هذه الزيارة يمكن أن تجلب له العداوات لذلك فهو يرفض قدوم إبراهيم بن محمد الكبير[56].

ثم رفض الحاكم العام بالجزائر الترخيص للرشيد بن محمد الكبير بن إبراهيم السفر إلى ملحق واد سوف[57]وذلك لما تحمله هذه الزيارة من أخطار ولئن برّر الرشيد سبب هذا السفر هو تفقد مصالح الزاوية القادرية هناك، فإن الحكومة قامت بتحقيق وأثبتت أنه لا وجود لمصالح للزاوية في تلك المنطقة بل ذهبت إلى أنه خلال هذه الفترة يكون أهالي الواد منشغلون بأنشطة بيع التمور والتبغ وبذلك فإن سفر الرشيد ليس له من هدف سوى جمع الزيارات[58]. وقوبل مطلب الشيخ السابق للطريقة القادرية بنفطة للسفر إلى الجزائر وتحديدا إلى تبسة للقيام ببعض الشؤون التي تخص العائلة بالرفض[59]، وقد أكدّ الجنرال والقائد العسكري لمقاطعة قسنطينة أن هذا الشيخ معروف جدا لدى النمامشة وأن زيارته إلى هذه المنطقة خلال هذه الفترة ليس لها من سبب سوى جمع الزيارات كما أن هذه الزيارة من شأنها أن تزيد في تعميق

الأزمة التي يعاني منها أهالي منطقة الشريية نظرا إلى الموت المتكرّر الذي يصيب قطيعهم خلال الشتاء[60]، وفي العام الماضي أثار تواجد هذا الشيخ في دائرة تبسة انتقادات هامة وعديدة دفعت بالحكم المحلي إلى إجباره على مغادرة التراب العسكري[61].

لقد أظهرت السلطات الفرنسية بالجزائر اهتماما وشغفا كبيرا لزيارات شيخ الزاوية القادرية وعائلته إلى الجزائر لما قد تسبب فيه هذه الزيارات من إخلال بالأمن وكان خوفها أكبر من أن يكون سبب هذه السفرات جمع الزيارات. في مقابل ذلك فإن السلطات الاستعمارية في تونس لم تظهر موقفها تجاه هذه المسألة وذلك إلى حدود العشرينات من القرن العشرين فلم نجد ما يشير إلى أنها تراقب سفر شيوخ الطريقة القادرية بنفطة إلى الجزائر خاصة وإنها كانت على علم بهذه التنقلات عن طريق المراسلات التي ما فتئت ترسلها السلطات بالجزائر.

ويمكن القول بأن السلطات الفرنسية في تونس كانت مشغولة بما يدور داخل زاوية نفطة وزوايا القادرية الأخرى وما يؤكد كلامنا هذا أن المراقب المدني بتوزر أخبر المقيم العام بالزيارة التي قام 43 مغربي من عمال منجم المتلوي إلى الزاوية القادرية بتوزر[62] يوم 27 مارس 1932 وشاركوا في أنشطة العيساوة وقد تمت في هذه الزيارة دون علم وبدون ترخيص من المراقب المدني الذي أمر شيخ الزاوية بالامتناع عن القيام بهذه التصرفات وطالب الوفد المغربي بالعودة إلى المتلوي بدون مهلة فغادروا في نفس اليوم[63]، وقد أشار المراقب المدني في مكتوبه إلى المقيم العام أنه لم تسجل حوادث جراء هذه الزيارة[64]. وبذلك يمكن القول أن زيارة هذا الوفد المغربي إلى الزاوية القادرية بنفطة جاءت لتؤكد حتما نفوذ الطريقة القادرية وإشعاعها وتنوّع وتعدّد أتباعها التي كانوا يأتون من كل المناطق ولا يبخلون عن الزيارة لتأكيد ولائهم

وانتمائهم إلى هذه الطريقة. من جهة أخرى فقد أخبر المراقب المدني بتوزر أن شيخ الزاوية القادرية بوبكر بن الشيخ المولدي طلب الترخيص للسفر إلى تونس العاصمة سفرا استعجاليا لزيارة أحد أقاربه في حالة خطرة من المرض[65]، وقد استدعى شيخ الزاوية لأخذ الترخيص بالسفر من المراقب المدني وحذّر بعدم جمع الزيارات خلال تنقلّه[66].

III- مشاكل الطريقة القادرية والسير نحو الاضمحلال

داخليا، حقّــقت الزاوية القادرية انتشارا كبيرا ونفوذا هاما وكان لها العدد الأوفر من الأتباع، لكن إشعاع هذه الطريقة لم يدم طويلا فبمجرد موت إبراهيم الشريف مؤسّسها دخلت في معمعة من المشاكل واندلعت الخلافات بين الأحفاد والأبناء. وحقيقة هذا الخلاف مرده أنّ الشيخ المذكور لم يترك في حياته من يخلفه في مشيخة الزاوية و لم يحدّد أملاك الزاوية و لم يفصل بين الأحباس وأملاك الشيخ الخاصة.

من جهة أخرى فقد كان محمد الكبير الابن الأكبر للشيخ إبراهيم الشريف يحظى بسلطة ونفوذ كبيرين وقد أثار تعيينه شيخا على الزاوية عديد الخلافات بين إخوته ولئن اتفق شق منهم على توليته، فإن الشق الآخر لم يوافق وبعد عديد الخلافات غادر بعض الإخوة نفطة واستقروا بالجزائر أين أسّسوا زوايا مستقلة[67]، وظلوا يترصّدون الفرصة والأخطاء التي يرتكبها هذا الشيخ لإظهار رفضهم له. ففي 30 جانفي 1907، أرسل أبناء الشيخ إبراهيم الشريف رسالة إلى الوزير الأكبر يشتكون فيها من تصرفات حمد الكبير الذي سار "سيرة غير مرضية وأضر بأموالنا"[68]، كما "اتهم بنازلة تدليس"[69]. ورأى هؤلاء الأخوة أن هذه الأفعال التي يقوم

بها الشيخ سوف تؤدي حتما إلى "اضمحلال أمرنا وتلاشيه وبسبب هذا نتوقع انعدام ذكرنا وانمحاء مجدنا الذي هو الحياة الحقيقية"[70].

وفعلا فقد تسبّب هذا الشيخ فيما عانته الزاوية القادرية من مشاكل وأزمات ضربت الجانب المادي الذي شكل إحدى الركائز الأساسية إن لم نقل المركزية التي انبنت عليها قوة الطريقة القادرية فقد أدى طمع وشجع محمد الكبير إلى دفعه إلى سوء التصّرف في أملاك الزاوية وقيامه بمصاريف مجحفة ومشطـــّة قادته إلى التداين ورهن أملاك الزاوية سواء منها الأحباس أو الأملاك الخاصة[71]. وقد تجلـــّت مظاهر هذه الأزمة في انخرام التوازن بين مداخيل ومصاريف الزاوية[72]نظرا إلى ارتفاع تكلفة الإنتاج وأجرة اليد العاملة هذا إضافة إلى أضرار ضريبة القانون بمداخيل الزاوية التي كانت قبل 1881 معفية من دفعها. كما كان لمصاريف الزاوية الداخلية دورا في الإضرار بخزانتها فالزاوية تستقبل العديد من الوافدين الذين تقوم بإطعامهم والماكثين بها إضافة إلى إعطاء رواتب القائمين عليها وطلبتها ومصاريف الصيانة.

لقد مكـــّنت مداخيل الزاوية القادرية شيوخها وعائلاتهم من النعيم بحياة ارستقراطية أشبه بحياة الملوك، فكانوا يرتدون أفخر وأجود الملابس ولا تخلو منازلهم من الخدم. وفي هذا الإطار اشتكت خادمات محمد الكبير من المعاملة القاسية والسيئة فكشفن بذلك ما كان يدور داخل زوايا الجريد، برفعهن شكوى منددات فيها بما تعانينه داخل منزل شيخ الزاوية. هنّ أربعة سودانيات الأولى مبروكة وهي في خدمة منزل محمد الكبير منذ ستة سنوات أصيلة واد سوف وتبلغ من العمر 40 عاما[73]، الثانية مباركة وقد قدمت من ورقلة مع زوجها وهي تشتغل في منزل محمد الكبير منذ أن كان عمرها 24 سنة[74]، الثالثة خديجة وعمرها 30 سنة وهي من واد سوف منذ أن كان عمرها 24 سنة، والرابعة عافية وهي في منزل الشيخ منذ

10 سنوات. كما وجدت في نفس المترل خادمة خامسة وهي شهرت وقد قدمت إلى مترل الشيخ صغيرة وهي تشتغل منذ 21 سنة وعمرها الآن 35 سنة[75].

وجاء في كتابهن أن شيخ الزاوية محمد الكبير تصرف فيهم كما يتصرف الشاري في الثياب : "وقد أضر بنا بالضرب هو وزوجته وأبنائه ونحن نخدموا فيه في كل يوم يزيد في ضربنا بالصباط وإذا تكلمت أحدتنا يقولون لها إنك مشرية بالدراهم"[76]. في حقيقة الأمر فإن هذه المعاملات تتنافى مع ما يجب أن يتحلى به شيخ الزاوية من خصال حميدة وقد حطت من قيمته ومسّت سمعته خاصة وأنه ابن الشيخ الجليل صاحب الكرامات ومؤسس الزاوية.

نظرا إلى زيادة مصاريف الزاوية ونقص المداخيل اضطر شيخها إلى الالتجاء إلى الاقتراض خاصة من المرابين اليهود مقابل رهنه لحجج عقارات لديهم كضمان على مالهم عليه من ديون[77]، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى رهن العقارات المحّبسة على الزاوية واخترق عقد الحبس ومع ذلك لم يجد شيخ الزاوية مخرجا نظرا لتزايد وارتفاع قيمتها وفرائضها وقد بلغت سنة 1898 7858 فرنك هذا بالإضافة إلى مبالغ أداء القانون[78].

تفطّن إخوة الشيخ محمد الكبير إلى أن التصرّفات التي قام بها هذا الشيخ والتي أدت إلى الاختلال المالي للزاوية وستؤدي حتما إلى فقدان الطريقة لإشعاعها وزوال عائلة إبراهيم الشريف، وفي الوقت ذاته وأمام تكاثر فضائح هذا الشيخ قرّرت الحكومة إجبار محمد الكبير على تقديم استقالته سنة 1907 من مشيخة الزاوية وتعيين أخاه محمد العربي شيخا[79]، لكن هذا القرار لم تكن له ردّة فعل قوية لدى الأهالي من غير الأتباع الذين اتخذوا موقف الحياد أما الأتباع فلم يفاجئهم هذا القرار وبقي الربع منهم على الحياد فيما تقبـــّلت الأغلبية منهم قرار العزل بالقبول التام والترحيب والاحترام[80]. وفي حقيقة الأمر فقد كان هؤلاء الأتباع على

اقتناع تام ووعي كبير بأن تصرفات شيخ الزاوية سابقا محمد الكبير قد أضررت ضررا كبيرا بالطريقة القادرية وبحرمة الزاوية هذه الطريقة التي أخلصوا إليها وأمعنوا في حبها، التهموا قواعدها وأنهكوا أجسامهم تطبيقا لشعائـــــرها في هيكل زاويتها.

من جهة أخرى، أثار قرار تعيين أحد أخوة محمد الكبير شيخا للطريقة القادرية شيئا من الحزن، كما أقرّ المراقب المدني بقفصة بعدم عودة محمد الكبير إلى نفطة ليس فقط للخطر الذي يحدثه وجوده وإنما أيضا لتجنب المكائد التي يقوم بها هذا الرجل والتي من شأنها أن تثير ندم جزء من الأهالي فيبدون رغبتهم الملحة والشديدة في إعادة تسميته[81].

لكن يبدو وأن أسلوب التحيـــل منتشر في عائلة إبراهيم الشريف حتى مع الأهالي وفي هذا السياق وفي إحدى النوازل كان المدعو أحمد القروي: "كان في قايم حياته ارهمن من الشيخ السديد محمد بن إبراهيم بن أحمد شيخ الزاوية القادرية بنفطة... جميع الأماكن الثلاثة أعلاه رهن انتفاع على مقتضى المذهب الحنفي الجاري به العمل بمحروسة تونس بعوض مبلغه تسعة آلاف فرنك"[82]، وقد تصرّف شيخ الزاوية في الملك المذكور والمرهون طيلة حياته وبعد وفاته تصرف فيه من بعده ورثته خاصة ابنه محمد الذي تصرف في الملك بعد وفاة والده طيلة 8 أعوام حتى توفي وتركه لورثته[83]. لكن هذه المسألة لم تقف عند هذا الحد لأن الشيخ الراهن ما فتئ أن افتك حوز الرهن من ورثته من نسوة وأيتام رغم صدور حكم بثبوت الرهن لورثة الشيخ المرهمن بعد النازلة التي رفعها المقدم عليهم.

ولم تتوقف تصرفات وتجاوزات شيوخ الزاوية القادرية بنفطة عند هذا الحد، وقد تتالت التشكيات في شأن أفعالهم الواحدة تلوى الأخرى وهي مع تعددها جاءت في مواضيع مختلفة. وفي هذه المرة ها هي طليقة محمد الكبير تستنجد بزوجة وزير المفاوضات لأن أخ

الشيخ المذكور محمد العربي يريد إخراجها من مترلها، المترل الذي تسكنه لمدة خمسين سنة مع أولادها وهو المكسب الوحيد بالنسبة إليها لتجد نفسها بعد ذلك في الشارع[84].

فلتحقيق مأربه التجأ محمد العربي إلى المراقب المدني بتوزر يلتمس منه إخراج طليقة أخيه بالقوة بالرغم من احتجاجات الأهالي وهو ما أدى إلى فرار ابنيها وانقطاع أخبارهم وبقيت مع بناتها الصغار[85]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه النازلة تندرج في إطار الصراعات والأحداث القائمة بين الأخوة بن إبراهيم الورثة المباشرون لمؤسّس الزاوية من ناحية ومن ناحية أخرى، تصرفات أبناء محمد الكبير اللّذين لم يختفيا كما جاء في الشكوى المقدمة من طرف والدهما، بل جاء في الرسالة التي بعثها المراقب المدني بتوزر إلى وزير المفاوضات[86]أنهما غادرا نفطة بدون ترخيص حيث توجه إبراهيم إلى تونس يحتج على تواجد الشيخ محمد العربي بالزاوية، بينما توجه الرشيد إلى واد سوف لإقناع الشيخ الهاشمي أخو الشيخ محمد العربي للقدوم إلى نفطة ومطاردته مرة ثانية[87].

ويذكر أنه قد كانت لهذا الشيخ الهاشمي سابقة في هذا الشأن، ففي أواخر شهر نوفمبر 1913 كان المحرّك لعملية سعى من ورائها إلى الضغط على أخيه محمد العربي وإخراجه وإبعاده من الزاوية القادرية وذلك في ظروف مذلة ومخزية بالنسبة إلى شيخ وقع تعيينه رسميا سنة 1907 بمعروض من الباي للتصرف في شؤون الزاوية[88]. لذلك ليس من الغريب أن تكن طليقة محمد الكبير مشاعر الكره والحقد للشيخ محمد العربي بل اعتبرت أنه حل ظلما محل زوجها في إدارة الزاوية.

لقد شكـــّلت عودة محمد العربي بعد موت محمد الكبير سببا وراء عدة محاولات صلح قامت بها الحكومة لإعادة العلاقات بين أفراد عائلة إبراهيم الشريف لكن الخلافات

والصراعات عادت بين عائلة محمد الكبير والشيخ العربي، وهو ما كان وراء تعليمات الحكومة بعدم التدخل في شان إدارة الزاوية وسكوتها في شان مسألة مسكن الشيخ محمد الكبير. في هذا الإطار رفع أبناء محمد الكبير شكوى[89] تطرقوا فيها إلى ما آل إليه حال الزاوية القادرية بسبب الخلافات الحاصلة بين الأحفاد والأخوة فتأكد من خلال هذه الشكوى أن من أهم أسباب ضعف الطريقة القادرية الصراعات والخلافات الداخلية التي أدت إلى اضمحلال أهم الطرق في البلاد. وقد ذكر أبناء محمد الكبير أن بوادر هذه الخلافات تمد جذورها إلى حياة والدهم: "إلى أن حصل خلاف بين والدنا وإخوته سببه منافستهم الاستحواذ على أملاك الزاوية فاستعفي والدنا من مشيخة الزاوية واخلفه فيها أخوه عم العربي فكان سببا في زيادة الخلاف والقطيعة بين الأخوة وأخذت الزاوية في نقص تام"[90].

لقد اتضح أن السبب الرئيسي للخلافات المشتعلة داخل الزاوية القادرية هو الاستحواذ على أملاكها وثرواتها، وقد اقتضى ذلك نزع المشيخة من محمد العربي وإرجاع نظرها إلى جمعية الأوقاف وذلك سنة 1915 للقيام بشؤونها ومحاولة إنقاذ الزاوية من الهلاك وخاصة من فقدانها لطلبتها وزوّارها وأوقافها. وفعلا فقد نجحت جمعية الأوقاف في تحسين حال الزاوية وأوقافها: "فاسترجعت الزاوية ما فقدته من الشهرة وصارت حالتها على غاية ما يرام وانقطعت الشحناء وانسجم الخلاف بين الأحفاد واستقرت الراحة"[91].

لكن هذا الهدوء النسبي لم تنعم به الزاوية القادرية طويلا لأن الخلاف نشب من جديد بين الأحفاد بعد أن خرجت الزاوية من تحت يد الجمعية فإثر تسمية محمد الأزهر شيخا، سلمته الجمعية مالها وأوقافها بنفطة وتوزر والحامة وتمغزة ونفزاوة وما تجمع من فاضل ريع الأوقاف المذكورة وقدره ثلاثة وستون ألف فرنك[92]. وقد رأى إبراهيم والرشيد المتقدمان

بالشكوى أن بقية الأحفاد ينوون افتكاك أملاكهم الخاصة والموروثة عن والدهم منذ عشرات السنين وطالبوا بحقهم في المال الذي سلـــّمته جمعية الأوقاف للشيخ محمد الأزهر قبل وفاته، بل وطالبوا بإرجاع الزاوية تحت نظر جمعية و لم يكونوا ليطلبوا ذلك لولا تيقنهم من أنه الحل الأنسب للمحافظة على الزاوية و ممتلكاتها.

هذه القضية التي أثارها أحفاد إبراهيم الشريف وجدنا حولها أكبر عدد من الوثائق الأرشيفية مما يخول لنا القول بأنها من أهم القضايا التي عرفتها الزاوية القادرية. حيث لم يتوقف ابنا محمد الكبير إبراهيم والرشيد عن مراسلة الحكومة التونسية والإقامة الفرنسية متمسكين بحقهم الشرعي ونصيبهم الموروث في أملاك الزاوية وكانوا في كل شكوى يمعنون في ذكر الحجج والأدلة والبراهين التي تؤكـــّد وتدّعم ما يطالبون به ففي مكتوبهم المؤرخ في 26 سبتمبر1920 الموجه إلى المقيم العام فلاندان[93]، قاما بالتذكير بالأعمال التي قام بها والدهم محمد الكبير لفائدة فرنسا، فقد كان "يباشر مصالح الدولة الفرانساوية بكيفية خاصة دون غيره حتى انتقد عليه... أخواه الذين ينكرون صنيعة في مباشرته لمصالح جنات الدولة". ومن جهة أخرى: "كان السّبب في مواصلة السكة الحديدية بين صفاقس وقفصة وهو الذي ألزم الهمامة بتسليم الأرض المسمات بالمكناسي إلى جناب الدولة"[94]. و لم تتوقف أعماله لصالح فرنسا عند هذا الحد بل كان السبب في "جلب المتهمين بقتل السيّد موريس المكلّف من طرف جناب الدولة بالسفر للناحية الجنوبية من الصحراء الكبرى حيث كلّف أخوه المسّمى محمد الطيّب كما أيضا كلفه بأن يذهب الى الناحية الغربية ويسعى في امتلاكها إلى جانب الدولة حتى صارت جناب الدولة لها يد عالية في تلك الناحية". هذا وقد كان هو "المباشر لأبناء الدولة الفرانساوية إلى أن توفي"[95].

في حقيقة الأمر فإن هذا التذكير بما قام به الشيخ محمد الكبير لفائدة فرنسا ليس له من هدف سوى استمالة هذه الأخيرة لكسب هذه النازلة والاستناد إليها والاستعانة بها لاسترجاع الحقوق خاصة وقد ذكروا أن إخوة الشيخ كانوا "ينكرون صنيعه"[96]فيما قام به من أعمال لصالح فرنسا وأكّدوا على أن هذا الإنكار هو السبب في استيلائهم وتسّلطهم على الأملاك بل ذهب أخوة الشيخ إلى أن الديون المتخلّـــدة بذمته والتي أدت إلى رهن أملاك الزاوية والتفريط في جزء هام منها سببها قيام محمد الكبير بـــ"ضيافة من لا يستحق الضيافة"[97]، أي استضافة رجال فرنسا العادة التي دأب عليها، من جهة أخرى فإن عرض النازلة على فرنسا يؤكد ولاء أبناء محمد الكبير لها ولسياستها تماما مثلما كان أبوهما.

لم يتم الحسم في هذه المسألة سريعا لأنها مرة أخرى يعاودان إرسال مكتوب إلى الوزير الأكبر لعرض "الخلاف الواقع والشقاق العظيم بين أحفاد الشيخ سيدي إبراهيم بن أحمد الشريف شيخ الزاوية القادرية بنفطة"[98]، لكنهما في كل مرة يغيـــّران أسباب الشقاق مع المحافظة على تحميل مسؤولية الخلاف إلى أعمامهم خاصة محمد العربي وفي هذه المرة اعتبروه "السبب في كثرة الشقاق وزيادة القطيعة بين الأخوة"[99] ونتيجة لذلك أخذت الزاوية "إذ ذاك في التقهقر"[100]. تماما كما وقع التركيز على الدور الذي قامت به جمعية الأوقاف عندما انتزعت الزاوية من تحت مشيخة محمد العربي كحل مؤقت لفض النزاع. وقد باشرت الجمعية "القيام بشؤونها ومصالحها والاتفاق على طلبتها وتحسين كافة النخيل فاسترجعت الزاوية ما فقدته من الشهرة وصارت حالتها على غاية ما يرام وانقطعت البغضاء والشحناء وانحسم الخلاف بين الأحفاد واستقرت الراحة وتم النظام أو السلام"[101]، لكن الزاوية عادت إلى ما كانت عليه من الخلافات بعد أن أعادتها الجمعية إلى الشيخ محمد الأزهر لذلك كان الأهالي

يطالبون بإلحاح رجوع الزاوية "وكافة النخيل بنفطة وتوزر والحامة وتمغزة ونفزاوة تحت نظر جمعية الأوقاف طبق العادة في الأعوام الماضية حتى ينحسم بذلك الخلاف"[102]

لقد كتب للزاوية القادرية بالجريد أن تعيش على وتيرة الخلافات والتطاحن للاستيلاء على مشيختها الزاوية وأملاكها بدعوى أنها موروثة ومن المنطقي أن تساهم كل هذه المشاكل في تراجع إشعاع الطريقة وعوض أن يبادر الأحفاد إلى حل مشاكل الزاوية زادوا الأمر تعقيدا واستهواهم التكالب على جمع الثروات وبذلك يمكن القول أن من الأسباب التي أدت إلى اضمحلال القادرية بالجريد هذا الخرم الداخلي الذي أصابها. وقد انتقلت عدوى الخلافات إلى الزاوية القادرية بتوزر، في هذا الإطار تشكى أخوة الشيخ بوبكر بن الشيخ المولدي بتوزر مما يدور في الزاوية[103] خاصة تصرفات أخيهم المذكور فبعد وفاة والده قام بتعيين ابنه محمد المولدي بن بوبكر شيخا للزاوية دون ترخيص أو استشارة بقية الورثة و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل منعهم من دخول الزاوية والترّحم على قبر مؤسسها[104].

كما استولى على الزاوية والإرث المخلّف عن والده على الرغم من أن والده قد ترك إلى جانبه أخ أو أخت وزوجتين ويذكر أنه بعد وفاة بوبكر بن أحمد مؤسس الزاوية القادرية بتوزر تولّى المشيخة ابنه المولدي الذي تميّز بسلطة وهيبة كبيرة[105]، وبنفسه سلّم إدارة الزاوية إلى ابنه الكبير قبل سنوات من وفاته وقبل أن يتم إسناد الوظائف إليه رسميا بمرسوم من الباي. وقد ظّل يمارس مهامه الإدارية بنفسه على الرغم من بلوغه سبعة وستين سنة من عمره بمساعدة ابنه الميداني الذي بدوره عيّن إماما خطيبا ومدّرسا وشيخا مساعدا وذلك طبقا لثلاثة مراسيم مختلفة.

على خلاف الزاوية القادرية بنفطة التي كان لها أملاكا هامة، فإن الزاوية القادرية بتوزر لم يكن لها سوى بعض النخيل الذي يمثّل حبس الزاوية لا تتجاوز مداخيله السنوية عشرة وإثناعشر ألف فرنك حيث يعود جزء هام منها إلى الشيخ بوبكر إلى جانب امتلاكه لأراضي خصبة في السرس وفوشانة. لقد كانت عائدات النخيل وأراضي الغراسات توظف للقيام بكل ما يخص الزاوية من إصلاح وترميم ومصاريف أخرى تكاد هذه العائدات أن لا تفي بالضروريات لو لم ينجح الشيخ بوبكر في القيام بذلك اعتمادا على مستوى العيش الراقي الذي ينعم به، ومن جهة أخرى بالاعتماد على الهبات المالية التي يعطيها الأتباع للزاوية[106].

تقوم الزاوية القادرية بنفطة بالإنفاق على طلبتها البالغ عددهم المائة إلى جانب قيامها دوريا بتوزيع إعانات مالية ومساعدات على عدد كبير من فقراء المدينة وتستقبل بدورها الفقراء وعابري السبيل المارين والذين يطلبون الضيافة، وهي خدمات ضرورية تقوم بها الزاوية للتخفيف من حدة البؤس والفقر تماما كما ذكر شيخ الزاوية: "إن دخل حبس الزاوية منحصر في التمر والزيت فما كان من تمر الدقلة يباع للقانون الدولي لإقامة مصالح الوقف وما كان من غيرها يبقيه الشيخ مع جانب من التمر غيره مؤونة للفقراء والمساكين الملازمين للزاوية كما هي عادة أهل الجريد في اقتياتهم التمر"[107].

لقد عرف الشيخ بوبكر بما يحظى به من احترام كبير من قبل عدد كبير من سكان الجريد وعلى المستوى السياسي لم يظهر لا هو ولا أبوه مشاعر الكره لفرنسا كما كانت علاقاته بالمراقبين المدنيين المتعاقبين والذين دأبوا على زيارة الزاوية علاقة وديّة. وقد تضمن ردّه على الشكوى التي تقدم بها أبناء الشيخ المولدي تذكيرا بما تقوم به الزاوية من تحمل مسؤولية إيواء الطلبة والأيتام والأرامل والفقراء القاطنين بها[108]، كما قام الشيخ بوبكر بالكشف عما

يقوم به المتشكيان اللّـــذان هما أخواه من أعمال غير شرعية فمنذ عشرات السنين "وهما يتقلبان من بلد إلى آخر ومن دوار إلى آخر ويجمعان لخاصة أنفسهما"[109]. كما كانا يجمعان الأموال والزيارات باسم الزاوية وهو ما مكنهم من بلوغ درجة كبيرة من الثراء، ففي هذا الإطار ملك محمد منذ تسعة أو ثمانية سنوات بقرية الحامة "نخيلا يفوق ثمنه مائة وخمسين ألف كما ملك بتوزر العام الماضي بنحو الستين أو السبعين ألف وله ديار بالحامة وتوزر وله أغنام وخيل وبغال وفي العام الماضي اشترى دارا من أحد أبناء السوداني ببلد الحامة بعشرين ألف"[110].

في نفس السياق لازم ابنه التجوال مابين عروش أولاد سيدي عبيد وأولاد بو يحيى وأولاد سلامة وعملي الهمامة والفراشيش وماجر ونفزاوة وجهة تبسة من عمل الجزائر بحيث تطول إقامته مدة سنة[111]. ومن جهته قام إبراهيم بنفس التصرفات، فطالما "تجول بأنحاء الجزائر... وبالعمالة التونسية لم يترك عروش الهمامة ولا أولاد سيدي عبيد وهو الآن ذو مال... ما يفوق عن الخمسين أو الستين ألف فرنك عينا يديرها كيف شاء وله رهاين من النخيل بالحامة وتوزر ودار على ملكه بتوزر"[112].

بعد هذه الفترة توقّفت مراقبة السلطات الاستعمارية لشيوخ الطريقة القادرية بالجريد داخل البلاد وخارجها تماما كما توقــّفت النوازل والشكايات المقدمة من قبل الأحفاد خاصة في زاوية نفطة وقد يعود هذا إلى الاضمحلال الذي عرفته الطريقة القادرية وخاصة الطريقة الأم بنفطة بسبب تظافر عدة عوامل ونتيجة لذلك فقدت الزاوية القادرية بتوزر وزنها وإشعاعها وعلاقاتها مع إفريقيا جنوب الصحراء وأتباعها. في مقابل ذلك تواصل نشاط الزاوية الثقافي والاجتماعي إلى حدود الخمسينات حيث طالب الشيخ إمداده بما يلزم "لسّد ضروريات

فقراء الزاوية القادرية بتوزر من الحبوب... لأن الزاوية تطعم في كثير من العائلات الفقيرة بتوزر يوميا كما تطعم في عدد من ذي بال من الطلبة... زيادة على الزوار الذين لا تخلو منهم الزاوية على مرّ الأيام"[113].

الخلاصة

عبر مثال الطريقة القادرية تأكد انصهار المؤسسة الطرقية داخل المجتمع الجريدي وكان لها إشعاعا كبيرا وهاما، فعلى المستوى الديني ضمنت هذه الطريقة تعلّق الأتباع وتمسّكهم بتطبيق مبادئها وقد كانوا يجدون في ذلك راحة نفسية كبيرة وطمأنينة فأمكن لهم نسيان أهوال الوقع المرير الذي حفّ القرن التاسع عشر وخاصة النصف الثاني منه. أما ثقافيا فقد مثلت زوايا الطريق ةالنواة الأولى للتعليم ومراكز لحفظ وترتيل القرآن وتلقين العلوم الإسلامية لذلك كانت زوايا هذه الطرق لا تخلو من التلاميذ والطلبة.

من جهة أخرى، توطّـــدت العلاقات بين السلطة المحلية والمؤسسة الطرقية ولا غرابة في هذا خاصة وأن السلطة وقد وجدت في هؤلاء وسيلة لبسط نفوذها على منطقة متمرّدة ما فتئت تحاول المرة تلوى الأخرى الاستقلال وشق عصا الطاعة عن الحكم المركزي. فقد لعب هؤلاء المشايخ دور الممثلين للسلطة المركزية في المنطقة والضامنين لتواجدها وحضورها والمطبقين لأوامرها وقراراتها. لذلك ليس من الغريب أن تمنحهم امتيازات هامة وتضمن لهم مكانة مرموقة ارتقت بهم إلى أعيان المنطقة أو"الأرستقراطية الطرقية"، وقد تجلى ذلك في امتلاكهم أعدادا هامة من النخيل والعقارات مكنتهم من التنعم بحياة الرفاهة.

إلا أن هذه المكانة كان لها انعكاسها السلبي في بعض الأحيان وتضررت من ورائها بعض الطرق تماما كما حصل للطريقة القادرية التي شكلت لفترة زمنية هامة أهم الطرق المهيمنة في المنطقة، فقد بلغ عدد الزوايا 3 من جملة 109 أي بنسبة 2,75 وقد حقّقت هذه الطريقة إشعاعا كبيرا في منطقة الجريد وكان لها حضورا هاما داخل البلاد التونسية وخارجها في الجزائر. لكن تصرفات الشيخ محمد الكبير وخاصة تلاعبه بأموال الزاوية وخلطه بين الأملاك الخاصة والمحبّسة أدخل الطريقة في معمعة من المشاكل زادتها الخلافات بين الإخوة والأحفاد تعقيدا، فساهمت بشكل مباشر في فقدان الطريقة القادرية لصيتها وإشعاعها وخاصة قوتها ونفوذها وحضورها في المنطقة.

أما سلطة الحماية فقد أظهرت منذ بداية حضورها بالايالة تخوّفها المستمر من المؤسسة الطرقية بالنظر إلى المكانة التي حظيت بها هذه الأخيرة داخل المجتمع وضمها لعدد هام من الأتباع و لم تكن التجمعات داخل الزوايا ترضي هذه السلطة وحتى تنقلات مشايخها خاصة إلى التراب الجزائري لأنها تخشى التحالف بين الطرفين التونسي والجزائري من ناحية وسعي مشايخ الطرق من وراء هذه التنقلات إلى جمع الزيارات. فقد أدركت السلطات الاستعمارية أن الزيارات شكّلت مصدرا من مصادر قوة الطرق لذلك عملت جاهدة على منعها قانونيا، وبفقدانها لمكانتها الاقتصادية فقدت الزوايا العدد الهام لأتباعها الجانب الآخر لقوتها.

وبذلك فقد تضافرت عدّة عوامل وأسباب داخلية وخارجية ساهمت بشكل مباشر في الحد من المكانة الطرقية التي تميّزت بها منطقة الجريد، وكما انصهرت هذه الطرق داخل المجتمع الجريدي، خرجت منه بعد أن تخلى عدد كبير من الأهالي على نفسهم الصوفي وتوجهّهم الطرقي. لكن تلاشي الطرق الصوفية الكبرى لم يمنع تواصل نشاط طرق صوفية

أخرى وجدت في المنطقة لا تقل أهمية منها الهامة مثل طريقة سيدي بوعلي السني التي تحافظ على تقاليدها ودخلتها إلى اليوم لإضافة إلى وجود طرق أخرى بدرجة أهمية أقل ، كما وجدت تمظهرات أخرى للتوجه الصوفي بالجريد خرجت من إطار الالتزام النخبوي إلى "الطرقية الشعبية" التي حملت في طياتها عديد الأبعاد والدلالات.

الملاحق: الخريطة رقم 1: توزع الطريقة القادرية بالبلاد التونسية ،المصدر: (أ،و،ت)، س D، ح 97، م 3، ملف فرعي، 4

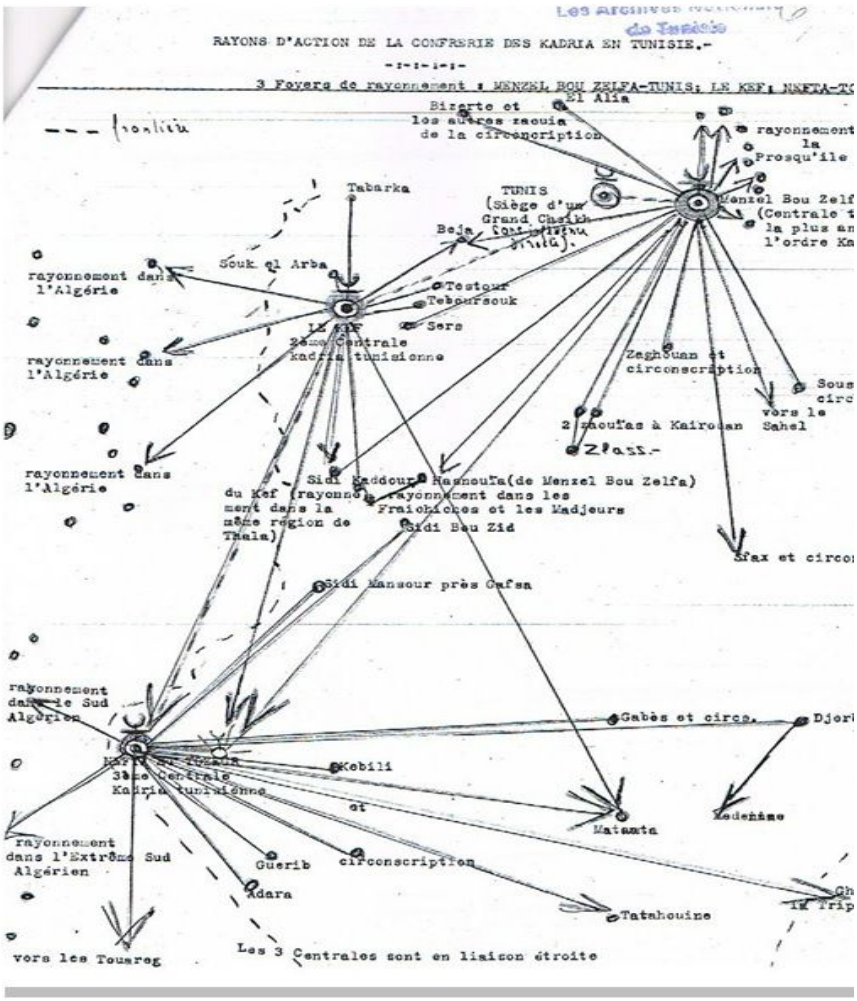

الإحالات

[1] العجيلي (التليلي) ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسية بالبلاد التونسية، تونس، منشورات كلية الآداب بمنوبة 1992، ص 25 .

[2] الأخضر (لطيفة)،الإسلام الطرقي، تونس، دار سراس للنشر، 1993، ص 18.

3 الميساوي، عبد الجليل (بدون تاريخ)، "زوايا الوسط الغربي ودورها الاقتصادي والاجتماعي"، مجلة الحياة الثقافية، العدد 21، تونس، ص 56.

[4] العجيلي (التليلي)، الطرق...نفس المرجع، ص 28.

[5] النيال (محمد البهلي)، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، تونس، مطبعة النجاح، ص 43.

[6] الأزهر (الكسراوي)، "الطرق الصوفية بالبلاد التونسية: مدينة صفاقس نموذجا"، القلم، عدد 7، صفاقس 2001، ص 19.

[7] النيال (محمد البهلي)، الحقيقة...نفس المرجع، ص 321.

[8] الرزقي (الصادق)، الأغاني التونسية، تونس 1967، ص 101.

[9] Ganiage (J.), les origines de protectorat français en Tunisie, Maison tunisienne de l'édition, 1968,p 164-165.

[10] الجريد تسمية قديمة أطلقها الرّحالة لأوّل مرّة على جميع الواحات الممتدّة من المغرب الأقصى إلى طرابلس بما في ذلك تلك الواقعة داخل التراب المصري. غير أنّ "بلاد الجريد الصغيرة" كما سمّاها مرمول Marmol لا تشمل واحات سجلماسة والزّاب، بل هي ستة قرى تكوّن القسطيلية وهي نفطة، توزر، الحامة، دقاش، كريز وسدادة...أربع واحات تشكّل شبه جزيرة خضراء تربط البلاد التونسية بالفضاء الصحراوي والقسطيلية اسم مشتق من أصل لاتيني castella وجمعها castellum ومعناها القلعة، وقد أطلق العرب هذا الاسم على مدينة توزر عندما دخلوها أول مرة لوجود حصون عديدة بناها الرّومان ثم عمّموا التسمية بعد ذلك على كامل المنطقة. وقد اوردنا خريطة تحدّد منطقة الجريد من البلاد التونسية بالملاحق (الخريطة رقم 1).

[11] Al Bakri, Description de l'Afrique septentrionale, Paris , imprimerie impériale, 1859,p 573.

[12] بنسالم (ليليا) ، الانتروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ص 53.

[13] L'oubli de la cité la mémoire collective à l'épreuve du lignage dans le Jerid tunisien, Paris, édition la découverte, 1990, p 221. Dakhhia (J.),

[14] Rinn (L.), Marabouts et khouans: étude sur l'Islam en Algerie, Alger, Adolphe Jordan, Librarie éditeur 1884, p173-174 .

[15] http ://www.sam3ny.net/forum/sh owthred.php?t=85552.

[16] Ibid.

[17] Ibid.

[18] Ibid.

[19] النيال (محمد البهلي)، الحقيقة التاريخية...نفس المرجع، ص 321.

[20] العجيلي (التليلي)، الطرق...نفس المرجع، ص 40.

[21] الخريطة رقم 2 بالملاحق.

[22] الصورة رقم1 بالملاحق.

[23] العجيلي (التليلي)، الطرق...نفس المرجع، ص 42.

[24] نفس المرجع، ص 42.

[25] الأرشيف الوطني التونسي (أ،و،ت) ، سلسلة D ،حافظة 106، ملف7، وثيقة1، بدون تاريخ، معلومات حول زاوية سيدي المولدي الشريف (قادرية توزر).

[26] (أ،و،ت)، س D ،ح 106، م 7 ، و1، بدون تاريخ، معلومات حول زاوية سيدي المولدي الشريف (قادرية توزر).

[27] المصدر نفسه.

[28] الصورة رقم 2 بالملاحق.

[29] (أ،و،ت)، س D ،ح 106، م 4، ملف فرعي 10، و41، بتاريخ سبتمبر 1920، نسخة مكتوب من إبراهيم والرشيد أبناء شيخ الزاوية القادرية إلى الكاتب العام للدولة التونسية.

[30] التليلي (العجيلي)، "الوضع الطرقي بالجريد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر" المجلة التاريخية المغاربية 1994، ص 302.

[31] (أ،و،ت)، س D ، ح 97، م 3، و 192، بتاريخ 3 سبتمبر 1899، نسخة مكتوب من الجنرال Brigade Richard إلى مفاوض الإقامة العامة للجمهورية الفرنسية.

[32] المصدر نفسه.

[33] (أ،و،ت)، س D ،ح 106، م 4، ملف فرعي 10، و41، بتاريخ سبتمبر 1920، نسخة مكتوب من إبراهيم والرشيد أبناء شيخ الزاوية القادرية إلى الكاتب العام للدولة التونسية.

[34] Depont (O.), et Coppolani (X.), Les confréries religieuses musulmanes typographie et lithographie, Alger, Adolphe Jordan, librairie éditeur 1897, p 14.

[35] الشريطي، منصف (2001)، "الأبعاد التنظيرية والدينية للطريقة القادرية بالبلاد التونسية من أواخر القرن الثامن عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 104، زغوان، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ص 395.

[36] (العامري) نلي سلامة، ، التصوف في إفريقية في العهد الحفصي من القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي إلى نهاية القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي، ج 1، تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية 1996، ، ص 333–334.

[37] الكيلاني (محمد الأمين)، رياض البساتين في أخبار الشيخ عبد القادر الجيلي محيي الدين، بهامش كتاب بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، تونس، مطبعة الدولة التونسية، 1984، ص 344.

[38] المرجع نفسه.

[39] نفس المرجع، ص 347.

[40] الشريطي (منصف)، "الأبعاد التنظيرية"...نفس المرجع، ص 398–399.

[41] المرجع نفسه.

[42] المرجع نفسه.

[43] العجيلي (التليلي) ، "الوضع الطرقي"....نفس المرجع، ص 314-315

[44] نفس المصدر، ملف فرعي، 1، و91، بتاريخ 12 ديسمبر 1892، نسخة مكتوب من المراقب المدني بتوزر إلى المقيم العام للجمهورية الفرنسية بتونس.

[45] بن النوري (محمد الطيب)، الجريد قبل انتصاب الحماية من 1840 إلى 1881 ، تونس، شهادة التعمق في البحث 1981، ص 210.

[46] نفس المرجع، ص 211.

[47] (أ،و،ت)، س D، ح 106، م 4، ملف فرعي، 1، و91، بتاريخ 12 ديسمبر 1892، نسخة مكتوب من المراقب المدني بتوزر إلى المقيم العام للجمهورية الفرنسية بتونس.

[48] نفس المصدر، ملف فرعي 1، و 104، بتاريخ 18 ماي 1885، نسخة مكتوب من الحاكم العام بالجزائر.

[49] المصدر نفسه.

[50] نفس المصدر، و98، بتاريخ 12 نوفمبر 1888، نسخة مكتوب من الحاكم العام بالجزائر إلى المقيم العام الفرنسي بتونس.

[51] المصدر نفسه.

[52] المصدر نفسه.

[53] نفس المصدر، و88، بتاريخ 18 ديسمبر1892، نسخة مكتوب من الحاكم العام للجزائر الى المقيم العام الفرنسي بتونس.

[54] المصدر نفسه.

[55] نفس المصدر، و19، بتاريخ 30 مارس 1908، نسخة مكتوب من الحاكم المدني بالجزائر إلى المقيم العام الفرنسي بتونس.

[56] المصدر نفسه.

[57] نفس المصدر، و32، بتاريخ 23 نوفمبر 1910، نسخة مكتوب من الحاكم العام بالجزائر إلى المقيم العام الفرنسي.

[58] المصدر نفسه.

[59] نفس المصدر، و12، بتاريخ 27 أفريل 1917، نسخة مكتوب من الحاكم العام للجزائر إلى المقيم العام الفرنسي بتونس.

[60] المصدر نفسه.

[61] المصدر نفسه.

[62] نفس المصدر، م7، و6، بتاريخ 12 جانفي 1934، نسخة مكتوب من المراقب المدني بتوزر الى المقيم العام بتونس.

[63] المصدر نفسه.

[64] المصدر نفسه.

[65] نفس المصدر، ملف فرعي 7، و11، بتاريخ 19 أفريل 1937، نسخة مكتوب من المراقب المدني بتوزر إلى الكاتب العام للحكومة الفرنسية.

[66] نفس المصدر، و15، بتاريخ 18 جانفي 1934، نسخة مكتوب من المراقب المدني بتوزر الى الكاتب العام للحكومة التونسية.

[67] نفس المصدر، ملف فرعي 10، وثيقة غير مرقمة، ملاحظات حول الزاوية القادرية.

[68] نفس المصدر، ملف فرعي 9، وثيقة غير مرقمة، بتاريخ 30 جانفي 1907، نسخة مكتوب من أبناء الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف الى الوزير الأكبر محمد العزيز بوعتور.

[69] نفس المصدر، ملف فرعي 9، وثيقة غير مرقمة، بتاريخ 15 أفريل 1907، نسخة مكتوب وزيري لعامل الجريد.

[70] نفس المصدر، و115، بتاريخ 30 جانفي 1907، نسخة مكتوب من أبناء الشيخ إبراهيم بن أحمد إلى الوزير الأكبر محمد العزيز بوعتور.

[71] نفس المصدر، ملف فرعي 10، وثيقة غير مرقمة، ملاحظات حول الزاوية القادرية.

[72] العجيلي (التليلي)، "الوضع الطرقي"...نفس المرجع، ص 317.

[73] (أ،و،ت)، س D، ح 106، م 4، ملف فرعي 1، و85، بتاريخ 13 فيفري 1908، نسخة مكتوب من المراقب المدني بتوزر إلى مقيم العام الفرنسي بتونس.

[74] المصدر نفسه.

[75] المصدر نفسه.

[76] نفس المصدر، ملف فرعي 9، و 92، بتاريخ 22 قعدة 1325، نسخة مكتوب من مبروكة وعافية ومباركة وخديجة إلى المراقب المدني بتوزر.

[77] العجيلي (التليلي) ، "الوضع"...نفس المرجع، ص 319.

[78] نفس المرجع، ص 319.

[79] (أ،و،ت)، س D، ح 106، م4، و97، بتاريخ 7 ماي 1907، نسخة مكتوب من المراقب المدني بتوزر إلى المقيم العام للجمهورية الفرنسية بتونس.

[80] المصدر نفسه.

[81] المصدر نفسه.

[82] نفس المصدر، ملف فرعي 9، وثيقة غير مرقمة، بتاريخ 6 أوت 1908، نسخة مكتوب من محمد الباجي القروي إلى الوزير الأكبر.

[83] المصدر نفسه.

[84] نفس المصدر، ملف فرعي 10، و109، بتاريخ 26 فيفري 115، نسخة مكتوب من ساسية بنت محمد التونسي إلى السيدة ألبتيت.

[85] المصدر نفسه.

[86] نفس المصدر، و107، بتاريخ 9 مارس 1915، نسخة مكتوب من المراقب المدني بتوزر إلى ألبتيت وزير المفاوضات.

[87] المصدر نفسه.

[88] المصدر نفسه.

[89] نفس المصدر، ملف فرعي 10، و41، بتاريخ سبتمبر 1920، نسخة مكتوب من إبراهيم والرشيد أبناء المرحوم محمد الكبير بن إبراهيم الشريف شيخ الزاوية القادرية إلى الكاتب بالدولة التونسية.

[90] المصدر نفسه.

[91] المصدر نفسه.

[92] المصدر نفسه.

[93] نفس المصدر، ملف فرعي 10، و29 بتاريخ 26 سبتمبر 1920، نسخة مكتوب من إبراهيم والرشيد أبناء المرحوم محمد الكبير بن إبراهيم إلى المقيم العام بالدولة التونسية.

[94] المصدر نفسه.

[95] المصدر نفسه.

[96] المصدر نفسه.

[97] المصدر نفسه.

[98] نفس المصدر، ملف 7، ملف فرعي 4، و12، بتاريخ 13 أكتوبر 1920، نسخة مكتوب من إبراهيم والرشيد أبناء محمد الكبير إلى الوزير الأكبر محمد الطيب الجلولي.

[99] المصدر نفسه.

[100] المصدر نفسه.

[101] المصدر نفسه.

[102] المصدر نفسه.

[103] نفس المصدر، و69، بتاريخ 21 أكتوبر 1922، نسخة مكتوب من أبناء الشيخ محمد المولدي إلى وزير المفاوضات.

[104] المصدر نفسه.

[105] نفس المصدر، و7، بتاريخ 23 ديسمبر 1922، نسخة مكتوب من المراقب المدير بتوزر إلى وزير المفاوضات.

[106] المصدر نفسه.

[107] المصدر نفسه.

[108] نفس المصدر، و54، بتاريخ 23 أكتوبر 1923، نسخة مكتوب من محمد الهادي مرابط عامل الجريد إلى الوزير الأكبر مصطفى الدنقزلي

[109] نفس المصدر، و73، بتاريخ 23 صفر الخير 1932/1341، نسخة مكتوب من بوبكر بن محمد المولدي الشريف شيخ الزاوية القادرية بتوزر

[110] المصدر نفسه.

[111] المصدر نفسه.

[112] نفس المصدر، م7، م ف 1، و3، بتاريخ 13 سبتمبر 1954، نسخة مكتوب من عامل الجريد الأمين الخازن إلى الوزير الأكبر الطاهر بن عمار.

[113] المصدر نفسه.